ظاهرة
الالتفات في القرآن الكريم
(نماذج مختارة)

تأليف
الدكتور محسن هاشم درويش

بسم اللـه الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

الحمـــد لله ، والصـــلاة والسلام على رســـــول الله ، وعلـــى آلـــه وصحبه ومن والاه ، وبعد :

فجمال ظاهرة الالتفات في البلاغة العربية لافت للنظر ، لما فيها من كسرٍ للرتابة التقليدية في أداء المعاني وتجديد لنشاط المـــستمع ، وتنبيـــه لذهن المتلقي ، وحفزٍ لهمة المخاطب ، واستجلابٍ لفكره ، مما يـــضفي على الكلام حيويةً وحركةً وحياةً متجددة ، تأخذ بالألباب ، وتشد الأذهان .

كل هذا وذاك دعاني وحفزني للإدلاء بدلوي بين الـــدلاء فـــي هـــذا الميدان الرحب الفسيح –على أني لست من أهله –، فأجلتُ النظـــر فـــي رياضه ، وأنعمت الفكر في حياضه ، فالتقطت منـــه زهـــوراً يافعـــة ، وثماراً يانعة ، كل ذلك كان في وحي من بعض آي الذكر الحكيم ، معدن الفصاحة ، وموطن البلاغة ، مسلطاً الضوء على أهم أقسام هذه الظاهرة البلاغية الرائعة وأبرزها ، تاركاً الباب ورائي مفتوحاً لدراسة سائر فنون (الالتفات) التي كثَّرها الباحثون ، وشعّبها المؤلفون ، مشيراً إلى كل ذلك في مظانه في بطون الكتب ، فجاءت هذه العجالة فـــي ثلاثـــة مباحـــث وخاتمة مذيلةً بمصادرها ومراجعها ، فكان المبحث الأول فـــي مـــدلول الالتفات لغةً واصطلاحاً ، والثاني في أسبابه ، فالثالث في أقسامه .

والله أسأل أن يتقبله بقبول حسن ، ويجعله خالصاً لوجهه ، إنه قريـــب مجيب .

المبحث الأول
الالتفات لغةً واصطلاحاً

الالتفات مصدر الفعل (التفت) ، واصله (اللَّفْت) وهو : اللَّــي، ولفــت وجهه عنه : صرفه ، وتقول : لفته عن رأيه ، بمعنى : صرفه ، والتلفُّت أكثر من الالتفات[1].

أما حقيقة الالتفات في اصطلاح البلاغيين فهو :" نقــل الكــلام مــن أُسلوب إلى أُسلوب آخر، تطريةً واستدراراً للسامع ، وتجديداً لنشاطه ، وصيانة لخاطره من الملال والضجر، بدوام الأُسلوب الواحد على سمعه ، كما قيل :

لا يُصلحُ النفسَ إن كانت مصرّفةً

إلا التنقلُ من حالٍ إلى حالِ "[2]

ويرى بعض الباحثين المعاصرين أن مجمل تعاريف السابقين للالتفات فيها بعض القصور ولم تأتِ على تعريفٍ شاملٍ له...قــال :" إن جميــع التعاريف التي وقفنا عندها لم تكن لتحيط بجميع أنواع الالتفــات –التــي ستأتي– ويمكن من استخلاص تعريف اصطلاحي مستنداً على تعــاريف

(١) ينظر: اللسان والقاموس ومختار الصحاح مادة (لفت)

(٢) البرهان في علوم القرآن ٣٦١/٣

البلاغيّين من مرحلة القمة أزعم أنه شامل... فالالتفات هو أُسلوب يتسم بالعدول عن صيغة إلى صيغة ، كأن يعدل عن التكلم إلى الخطاب ، أو عن التكلم إلى الغيبة ، أو عن الخطاب إلى الغيبة ...وبالعكس ، أو أن يعدل المتكلم عن المفرد إلى المثنى أو عن المفرد إلى الجمع ، أو عن المثنى إلى الجمع وبالعكس .

أو أن يعدل المتكلم عن الفعل المضارع إلى الأمر ، وعن الماضي إلى الأمر ، وعن الفعل الماضي بالمضارع ، وعن المضارع بالماضي ، أو العدول عن الفعل المضارع إلى اسم المفعول ، لفائدة تقتضي ذلك العدول ، كأن يكون لتأكيده ، أو إزالة الشك عنه أو غير ذلك "[1].

وهذه أجمع تعريف وأمنعه للالتفات وقفت عليه ، وسنرى في المباحث الآتية –إن شاء
الله – انطباقه تماماً على مفهوم الالتفات عند البلاغيين وفق منظور شامل ، ولا سيما عند تطبيقه على نماذج مختارة من القرآن الكريم بحر البلاغة ومعين الفصاحة .

(١) فن الالتفات في البلاغة العربية ص ٢٢

المبحث الثاني
أسبـــاب الالتفـــات

علل الالتفات وأسبابه كثيرة ، سأحاول الكلام على أشهرها ، وأكثرها شيوعاً .

يقول الزركشي (٧٩٤هـــ) :" اعلم أن للالتفات فوائد عامة وخاصة ، فمن العامة التفنن والانتقال من أُسلوب إلى آخر ، لما في ذلك من تنشيط السامع ، واستجلاب صفائه، واتساع مجاري الكلام ، وتـــسهيل الـــوزن والقافية ، وقال البيانيون : إنّ الكلام إذا جاء على أُسلوب واحد وطـــال حَسُنَ تغيير الطريقة ."[١]

هذه فوائد أو أسباب الالتفات العامة ، والذي يعنينا هنـــا أكثـــر تلـــك الأسباب الخاصة ، فمن تلك الأسباب :

١. **<u>التعظيـــم :</u>**

ونرى ذلك جلياً إذا ما طبقناه على سورة الفاتحة ، يقول الباري جـــل وعلا :" الحمد لله رب العالمين ۰ الرحمن الرحيم ۰ مالك يوم الدين ۰ إياك نعبد وإياك نستعين ۰ اهدنا الصراط المـــستقيم ۰ صـــراط الـــذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضآلين ۰ ".

---

(١) البرهان ٣٧٤/٣

نلاحظ في هذه السورة الكريمة عدولاً من أُسلوب الغيبة إلى أُسلوب الخطاب ..اسلوب الغيبة من قوله تعالى :" الحمد لله رب العالمين ...مالك يوم الدين "، ثم انتقل إلى اسلوب الخطاب عند ذكر العبادة فقال عز من قائل :" إياك نعبد وإياك نستعين .." وهذا من شأنه أن يلفت النظر إلى عظمة المخاطب ، يقول ابن الأثير :" وهذه السورة قد انتقل في أولها من الغيبة إلى الخطاب ، لتعظيم شأن المخاطب ، ثم انتقل في آخرها في الخطاب إلى الغيبة ، لتلك العلة بعينها ، وهي تعظيم شأن المخاطب أيضاً ، لأن مخاطبة الرب تبارك وتعالى بإسناد النعمة إليه تعظيم لخطابه ، وكذلك ترك مخاطبته بإسناد الغضب إليه تعظيم لخطابه "[1].

ويقول الزركشي معقباً على هذه الآية :" إنما اختير للحمد لفظ الغيبة ، وللعبادة الخطاب ، للاشارة إلى أن الحمد دون العبادة في الرتبة ، فإنك تحمد نظيرك ولا تعبده ، إذ الإنسان يحمد من لا يعبده ، ولا يعبد من لا يحمده ، فلما كان كذلك استعمل لفظ الحمد لتوسطه مع الغيبة في الخبر فقال: (الحمد لله) ، ولم يقل: (الحمد لك) ، ولفظ العبادة مع الخطاب فقال: (إياك نعبد) لينسب إلى العظيم حال المخاطبة والمواجهة ، على ما هو أعلى رتبة ، وذلك على طريق التأدب ، وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال: (صراط الذين أنعمت عليهم) مصرّحاً بذكر المنعِم ، وإسناد الإنعام إليه لفظاً ولم يقل: (صراط المنعم عليهم) ، فلما صار إلى ذكر الغضب روى عنه لفظ الغضب في النسبة إليه لفظاً ، وجاء باللفظ متحرفاً عن ذكر الغاضب ، فلم يقل: (غير الذين غضب عليهم)، تفادياً عن نسبة الغضب في اللفظ حال المواجهة "[2].

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ١٧١/٢

(٢) البرهان في علوم القرآن ٣٧٥/٣-٣٧٦

وربما يسمي الالتفات في هذا المقام بعض المفسرين بالتلوين.. يقول القرطبي (٦٧١هـ) :" قوله تعالى" (إياك نعبد) رجع من الغيبة إلى الخطاب على التلوين "[١].

٢. **التنبيه :**

وذلك من أجل المناصحة والتلطف كقوله تعالى :" ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه تُرجعون "[٢]، الأصل أن يقول هذا العبد المؤمن الذي حكت حاله الآية الكريمة مخاطباً قومه المكذبين : (ومالكم لا تعبدون الذي فطركم ولكنه " أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه ، وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم ، ولأنه أدخل في أمحاض النصح حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لروحه "[٣].

ويقول السيوطي (٩١١هـ) معقباً: (إنما عدل عن (وإليه أرجع) إلى (وإليه ترجعون)، لأنه داخل فيهم ، ومع ذلك أفاد فائدة حسنة ، وهي تنبيههم على أنه مثلهم في وجوب عبادة من إليه الرجوع "[٤].

٣. **التتميم :**

كأن " يكون الغرض به التتميم لمعنى مقصود للمتكلم ، فيأتي به محافظةً على تتميم ما قصد إليه من المعنى المطلوب له ، كقوله :" فيها يُفرق كل أمر حكيم ٠ أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين ٠ رحمةً من ربك إنه هو السميع العليم "[٥]، أصل الكلام: (إنا مرسلين رحمةً منا) ، ولكنه وضع الظاهر موضع المضمر ، للإنذار بأنّ الربوبية تقتضي

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ١٤٥/١

(٢) سورة يس (٢٢)

(٣) الكشاف للزمخشري ١٠/٤

(٤) معترك الأقران في إعجاز القرآن ٢٨٧/١

(٥) سورة الدخان (٤-٦) .

الرحمة للمربوبين ، للقدرة عليهم ، أو لتخصيص النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر ، أو الإشارة إلى أنّ الكتاب إنما هو إليه دون غيره ، ثم التفت بإعادة الضمير إلى الرب الموضوع موضع المضمر ، للمعنى المقصود من تتميم المعنى "[١].

٤. **المبالغة والتعجب :**

وذلك كقوله تعالى :" حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم "[٢]، ففي هذه الآية الكريمة التفات من صيغة الخطاب إلى الغيبة " فإن قلت: ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة ؟ قلت: المبالغة ، كأن يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ، ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح "[٣].

ويعلق ابن الأثير (٦٣٧هـ) على هذه الآية مبيناً فوائد الالتفات وعلله فيها فيقول :" فإنه إنما صرف الكلام ههنا من الخطاب إلى الغيبة لفائدة ، وهي أنه ذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها كالمخبر لهم ، ويستدعي منهم الإنكار عليهم ، ولو قال: (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بكم بريح طيبة وفرحتم بها) ، وساق الخطاب معهم إلى آخر الآية لذهبت تلك الفائدة التي أنتجها خطاب الغيبة ، وليس ذلك بخافٍ عن نقدة الكلام "[٤].

٥. **الاختصاص :"**

يسوق المفسرون وعلماء البلاغة آيات قرآنية مُثُلاً على أسلوب الالتفات المفيد معنى التخصيص ، فمن ذلك قول الحق سبحانه وتعالى

---

(١) البرهان ٣/٣٧٧-٣٧٨

(٢) سورة يونس (٢٢)

(٣) الكشاف ٢/٣٣٨ ، وينظر: البرهان ٣/٣٧٨

(٤) المثل السائر ٢/١٧٨

:" والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به "[1].

يقول الزمخشري في هذه الآية :".. فإن قلت: لِمَ جاء (فتثير) على المضارع دون ما قبله وما بعده ؟ قلت: ليحكي الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب ، وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية ، وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب أو تهم المخاطب "[2].

ويرى الزركشي في هذه الآية أنه "لما كان سَوْق السحاب إلى البلد الميت وإحياء الأرض بعد موتها بالمطر دالاً على القدرة الباهرة التي لا يقدر عليها غيره ، عدل عن لفظ الغيبة إلى التكلم ، لأنه أدخل في الاختصاص وأَدَلَّ عليه: (سقنا) و (أحيينا) "[3].

٦. **<u>قَصْد الاهتمام :</u>**

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى :" ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين ٠ فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم"[4].

يقول بدر الدين الزركشي حول هذه الآية :" فعدل عن الغيبة في (قضاهنّ) و (أوحى) إلى التكلم في (وزينا السماء الدنيا) للاهتمام بالإخبار عن نفسه ، فإنه تعالى جعل الكواكب في سماء الدنيا للزينة والحفظ ؛ وذلك لأنّ طائفة اعتقدت في النجوم أنها ليست في سماء الدنيا

---

(١) سورة فاطر (٩)

(٢) الكشاف ٦٠١/٣

(٣) البرهان في علوم القرآن ٣٧٨/٣

(٤) سورة فصلت (١١) (١٢)

، وأنها ليست حفظا ولا رجوماً ، فعدل إلى التكلم والإخبار عن ذلك ، لكونه مهما من مهمات الاعتقاد ، ولتكذيب الفرقة المعتقدة بطلانه "[1].

٧. **التوبيخ :**

وذلك كقوله تعالى :" وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ٠ لقد جئتم شيئاً إدّاً ٠ "[2]...حيث " عدل عن الغيبة إلى الخطاب ، للدلالة على أنّ قائل مثل قولهم ، ينبغي أن يكون موبَّخاً ومنكراً عليه ، ولما أراد توبيخهم على هذا أخبر عنه بالحضور ، فقال: (لقد جئتم) ، لأن توبيخ الحاضر أبلغ في الإهانة له "[3].

وهذا أوضح ما قيل في هذه الآية وأقرب إلى الموضوع الذي نتكلم عليه .

على أن هناك أسباباً وبواعث أُخر للالتفات تكلم عليها الدارسون واستنبطها الباحثون[4]،و يجدر بي وأنا أتحدث عن الالتفات أن أورد أهمها وأميزها وأبرزها وأكثرها وضوحاً ولصوقاً بهذه الظاهرة البلاغية الدقيقة . فمن هذه الأسباب :

٨. **التوكيد :**

وذلك كقول الباري سبحانه :" قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد "[5]، فعدل عن صيغة الماضي (أمَرَ) إلى صيغة الأمر (أقيموا) ، فلماذا هذا العدول ؟ ولماذا لم يقل سبحانه: (قل أمر ربي بالقسط وبإقامة وجوهكم عند كل مسجد) ؟ يجيبنا عن هذا ابن الأثير (٦٣٧هـ) فيقول :".. يُفعل ذلك توكيداً لما أجرى عليه فعل الأمر ،

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٣/٣٧٨-٣٧٩

(٢) سورة مريم (٨٨-٨٩)

(٣) البرهان ٣/٣٧٩

(٤) انظر مثلاً : فن الالتفات في البلاغة العربية ، قاسم فتحي سليمان ، ص ١٠٩-١١٦

(٥) سورة الأعراف (٢٩)

لمكان العناية بتحقيقه... ، فعدل عن ذلك إلى فعل الأمر ، للعناية بتوكيده في نفوسهم ، فإن الصلاة من أوكد فرائض الله على عباده ، ثم أتبعها بالإخلاص الذي هو عمل القلب ، إذ عمل الجوارح لا يصح إلا بإخلاص النية ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم :" (الأعمال بالنيات)[1] " [2].

٩. <u>التلطف :</u>

كقوله تعالى معاتباً نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم " عبس وتولى ٠ أن جاءه الأعمى ٠ وما يدريك لعله يزكّى "[3]. فجاء بأُسلوب الغيبة (عبس – تولى – جاءه) في العتاب عدولاً عن أُسلوب الخطاب " لما فيه من التلطف في مقام العتاب بالعدول عن المواجهة في الخطاب "[4].

١٠. <u>الترهيب :</u>

وذلك كما ورد في قوله تعالى :" وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون "[5].

فقوله تعالى: (فإياي فارهبون) " أبلغ في الترهيب من قوله: وإياه فارهبوه ، ومن أن يجيء ما قبله على لفظ المتكلم "[6].

---

(١) جزء من حديث نبوي عظيم يُعد أصلاً من أُصول الإسلام ، وتمامه :" إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه " وهذه إحدى روايات الحديث التي رواها البخاري وغيره ، ينظر: صحيح البخاري ٢/١

(٢) المثل السائر ١٨٠/٢

(٣) سورة عبس (١) –(٣) .

(٤) مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح ، لابن يعقوب المغربي ٤٦٦/١ ، نقلاً عن الالتفات ص ١١٢ فانظره .

(٥) سورة النحل (٥١)

(٦) الكشاف ٦١٠/٢

هذه هي أهم أسباب الالتفات وبواعثه التي ذكرها الأقدمون ، والباحثون المحدثون بصورة موجزة جداً ، وأُراني الآن أنتقل إلى الكلام على أقسام الالتفات .

المبحث الثالث

أقسام الالتفات

أقسام الالتفات كثيرة كما يظهر من تعريفه إلا أني سوف أعرض إلى أهمها وأكثرها اتصالاً بالقرآن الكريم ، محتذياً حذو الزركشي – رحمه الله تعالى – في إيراد الأقسام وترتيبها ، وذلك لأنه كان أحسن تقسيماً ، وأفضل تفريعاً ، ذاك لأن كلامه جاء منبثقاً وصادراً عما ورد في القرآن الكريم مما ينسحب على هذا الموضوع ... وهو مدار البحث. فأول هذه الأقسام :

١. **<u>الالتفات من التكلم إلى الخطاب :</u>**

قال الزركشي :" ووجهه حث السامع وبعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلم عليه ، وأنه أعطاه فضل عناية وتخصيص بالمواجهة "[١] ، ومن

(١) البرهان ٣٦٣/٣

الأمثلة الدالة عليه قوله تعالى :"إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ٠ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صـــراطاً مـــستقيما ٠ وينصرك الله نصراً عزيزاً "[١]. فلم يقل سبحانه: (لنغفر لك) "تعليقاً لهـــذه المغفرة التامة باسمه المتضمن لسائر أسمائه الحسنى ، ولهذا علّـــق بـــه النصر ، فقال: (وينصرك الله نصراً عزيزاً) "[٢].

وينبه الزمخشري هنا بأن الفعل (فتحنا) قد جاء على " لفـــظ الماضـــي على عادة رب العزة سبحانه في أخباره ، لأنها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة ، وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبـــر ما لا يخفى "[٣].

ومن المثل التي مرت بنا وتندرج تحت هذا القسم ما تقدم مـــن قولـــه تعالى :" وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه تُرجعون "[٤].

وقد تقدّم الكلام عليه عند الحديث عن السبب الثـــاني (التنبيـــه) مـــن أسباب الالتفـــات فليُرجع إليه[٥].

٢. **<u>الالتفات من التكلم إلى الغيبـــة :</u>**

وذلك كقوله تعالى :" يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورســـوله النبي الأُمي .."[٦].

نلاحظ أنه قال: (فآمنوا بالله ورسوله) ولم يقـــل: (فـــآمنوا بـــالله وبـــي) انسجاماً مع سياق الآية المبدوءة بصيغة المتكلم إلى المخبر عن نفـــسه ، فهذا الالتفات من صيغة المتكلم إلى صيغة الغيبة هنـــا " لـــه فائـــدتان :

---

(١) سورة الفتح (١)-(٣)

(٢) البرهان ٣٦٤/٣

(٣) الكشاف ٣٣٢/٤

(٤) سورة يس (٢٢)

(٥) وينظر: البرهان ٣٦٣/٣

(٦) سورة الأعراف (١٥٨)

إحداهما : دفع التهمة عن نفسه بالعصبية لها ، والثاني : تنبيههم على استحقاقه الاتباع بما اتصف به من الصفات المذكورة ، من النبوة والأُميّة ، التي هي أكبر دليل على صدقه ، وأنه لا يستحق الاتباع لذاته ، بل لهذه الخصائص "[1].

٣. **الالتفات من الخطاب إلى التكلم :**

من ذلك قول الحق تبارك وتعالى :" فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا ٠ إنا آمنا بربنا "[2].

فقد وقع هاهنا التفات من صيغة الخطاب (فاقض – أنت – تقضي) إلى صيغة المتكلم (إنا آمنا بربنا) .

ومثله قوله تعالى :" قل الله أسرع مكراً إنّ رسلنا يكتبون ما تمكرون "[3] " على أنّه سبحانه نزّل نفسه منزلة المخاطب "[4].

٤. **الالتفات من الخطاب إلى الغيبة :**

ومن المثل الدوال على هذا القسم قوله تعالى :" ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جآؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول ..."[5]. فجاء بصيغة الخطاب (جاؤوك) ثم عدل إلى الغيبة فقال: (واستغفر لهم الرسول) ولم يقل : واستغفرت لهم ، وعدل عنه إلى طريقة الالتفات ،

---

(١) البرهان ٣٦٥/٣

(٢) سورة طه (٧٢)-(٧٣)

(٣) سورة يونس (٢١)

(٤) البرهان ٣١٧/٣ ط المعرفة .

(٥) سورة النساء (٦٤)

تفخيماً لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتعظيماً لاستغفاره وتنبيهاً على أنّ شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان "[1].

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى :" إنّ هذه أُمتكم أُمةً واحدةً وأنا ربكم فاعبدون ۝ وتقطعوا أمرهم بينهم كلٌّ إلينا راجعون "[2]، فعدل عن صيغة الخطاب إلى صيغة الغيبة ، فقال: (وتقطعوا) ، ولم يقل: (وتقطعتم) ف " كأنه ينعى عليهم ما أفسدوه إلى الآخرين ، ويقبح عندهم فعلهم ، ويقول لهم : ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله ؟! والمعنى: جعلوا أمر دينهم قطعاً كما يتوزع الجماعة الشيء ويقتسمونه ، ثم توعدهم بأنّ هؤلاء الفرق المختلفة إليه يرجعون ، فهو محاسبهم ومجازيهم "[3].

ومن هذه البابة قوله تعالى :" وما آتيتم من زكاةٍ تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون"[4] . فقوله تعالى: (فأولئك هم المضعفون) " التفات حسن ، كأنه قال لملائكته وخواص خلقه : فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون ، فهو أمدح لهم من أن يقول: فأنتم المضعفون "[5]. ولا يخفى أنّ الالتفات هنا كان من صيغة الخطاب (آتيتم) إلى الغيبة (هم) ، وكان الأصل في السياق أن يقول: (فأنتم المضعفون) ، فالالتفات هنا نبّه القلوب ولفت الأنظار ، وكسا المعنى غزارة ، وأوقع في النفس أثراً شديداً وحرارة .

ومنه أيضاً قول الله سبحانه واصفاً عباده المتقين وحالهم في جنات النعيم :" ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تُحبرون ۝ يُطافُ عليهم بصحافٍ من

---

(١) الكشاف ٥٢٨/١

(٢) سورة الأنبياء (٩٢)-(٩٣)

(٣) الكشاف ١٣٤/١

(٤) سورة الروم (٣٩) .

(٥) الكشاف ١٣٤/١ .

ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالـــدون "[1].

" فانتقل عن الخطاب إلى الغيبة ، ولو ربط بما قبله لقال: (يُطاف عليكم) ، لأنه مخاطب لا مخبَر ، ثم التفت فقال: (وأنتم فيها خالـــدون) فكـــرّر الالتفات "[2].

٥. **<u>الالتفات من الغيبة إلى التكلـــم :</u>**

وأمثلته كثيرة منها قول الحق تبارك وتعالى :" سبحان الـــذي أســـرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله "[3]. فالتفت من أسلوب الغيبة (أسرى بعبده) إلى أسلوب المتكلم (باركنا) وفيه ما فيه من لفت نظر المتلقي إلى أهمية المكان المسرى بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم إليه وما أودعه الباري جل وعلا فيه من أسرار بركاته ، وجزيل آلائه ونفحاته .

ويجمل بنا ونحن نتحدث عن هذه الآية الكريمـــة أن نـــشير إلـــى أنّ الالتفات قد يتكرر في بعض المواضع ويتنوع تبعاً لأسبابه وبواعثه التي مر ذكرها وبحثها ، ففي الآية الكريمة السابقة " قد تكرر الالتفـــات فـــي قوله تعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المـــسجد الحـــرام إلـــى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنـــا إنـــه هـــو الـــسميع البصير) في أربعة مواضع: فانتقل عن الغيبة في قوله: (ســـبحان الـــذي أسرى بعبده) إلى التكلم في قوله: (باركنا حوله) ، ثم عن الـــتكلم إلـــى الغيبة في قوله: (لِنُرِيَهُ) ، بالياء على قراءة الحسن[4]، ثم عن الغيبة إلـــى

---

(١) سورة الزخرف (٧٠)-(٧١)

(٢) البرهان في علوم القرآن ٣١٨/٣ ط المعرفة .

(٣) سورة الإسراء (١) ، وينظر في معانيها : معاني القرآن للفراء ١١٥/٢-١١٦ .

(٤) هو الحسن البصري الإمام الشهير ، روى عنه أبو عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة ، توفي سنة ١١٠هـــ ، تنظر ترجمته في: غاية النهاية في طبقات القراء ٢٣٥/١ ، وفيات الأعيان ٦٩/٢ ، ميزان الاعتدال ٥٢٧/١ .

التكلم في قوله: (آياتنا) ، ثم عن التكلم إلى الغيبة في قولـــه: (إنـــه هـــو السميع البصير) .

وكذلك في الفاتحة فإنّ من أولها إلى قوله: (مالك يوم الدين)[١] أسلوب غيبة ، ثم التفت بقوله: (إياك نعبد وإياك نستعين)[٢] إلى أسلوب خطـــاب في قولـــه: (أنعمت عليهم)[٣] ، ثم التفـــت إلـــى الغيبـــة بقولـــه: (غيـــر المغضوب عليهم) [٤]، ولم يقل: (الذين غضبت) كما قال: (أنعمت عليهم) "[٥].

ومن هذا القسم أيضاً قوله تعالى :" الذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شـــتىً "[٦]. فقد " انتقل فيه من لفظ الغيبة إلى لفظ المتكلم المطاع ، تنقاد الأشياء المختلفة لأمره ، وتذعن الأجناس المتفاوتة لمشيئته، لا يتمنع شيء على إرادته "[٧].

ومنه أيضاً قوله سبحانه وتعالى :" والله الذي أرسل الرياح فتُثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميتٍ فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور "[٨]. فالتفت هنا من أسلوب الغيبة (أرسل) إلى أسلوب المتكلم (فسقناه) ، " وفائدته أنه لما كان سَوْق السحاب إلى البلد إحياءً للأرض بعد موتها بالمطر ، دالاً على القدرة الباهرة ، والآية العظيمة التي لا يقدر عليها غيره ، عدل عن لفظ الغيبة إلى التكلم ، لأنه أدخل في الاختصاص ، وأدل عليه

---

(١) سورة الفاتحة (٤)

(٢) سورة الفاتحة (٥)

(٣) سورة الفاتحة (٧)

(٤) سورة الفاتحة (٧)

(٥) البرهان ٣٢٢/٣ ط المعرفة .

(٦) سورة طه (٥٣) .

(٧) الكشاف ٦٨/٣

(٨) سورة فاطر (٩)

وأفخم "[1].

٦. **الالتفات من الغيبة إلى الخطاب :**

وقد قال الله تعالى :"(وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إدّاً)[2]، ولم يقل: (لقد جاؤوا) للدلالة على أنّ من قال مثل قولهم ينبغي أن يكون موبّخاً عليه ، منكراً عليه قوله، كأنه يخاطب به قوماً حاضرين "[3].

ومثله قوله سبحانه واصفاً حال المؤمنين في فراديس الجنان :" عاليهم ثيابُ سندسٍ خضرٌ وإستبرقٌ وحُلُّوا أساور من فضةٍ وسقاهم ربهم شراباً طهوراً ٠ إنّ هذا كان لكم جزآءً وكان سعيكم مشكوراً "[4]. " هذا المشهد القرآني من مشاهد الجنة ، وقد جاء كلـــه
بصيغة الغيبة ثم عدل إلى الخطاب ، إكراماً لهم على ســـعيهم ، وتفيـــد (لكم) أيضاً التخصيص ، إن هذا الجزاء كان تخصيصاً لكم منـــذ الأزل "[5]، ولا ريب أن من شأن الالتفات في الكلام بصورة عامة وفي مثل هذه المواضع بصورة خاصة أن يكسر الرتابة التقليدية فـــي أداء المعـــاني ، ويجدد نشاط المستمع ، وينبه ذهن المتلقي ، ويحفز همـــة المخاطـــب ، ويمنح الكلام حيويةً وحركةً وحياة متجددة .

---

(١) البرهان ٣/٣١٩-٣٢٠ ط المعرفة .

(٢) سورة مريم (٨٨)-(٨٩) .

(٣) البرهان ٣/٣٢٣ ط المعرفة .

(٤) سورة الإنسان (٢١)-(٢٢)

(٥) فن الالتفات ص ٧١

خاتمـــــــــــــــــــــــــــــــة

كان لا بد لي وأنا أختم حديثي المقتضب جداً عن ظاهرة (الالتفات) فـــي البلاغة العربية من خلال بعض من النصوص القرآنية الكريمة المختارة للتطبيق ، أن ألفت النظر إلى أنّ هناك أنواعاً وأقساماً أُخَر ذكرها العلماء والباحثون البلاغيون من القدامى والمحدثين، قد تندرج تحـــت ظـــاهرة الالتفات، وذلك كالانتقال من خطاب الواحد والاثنين والجمع إلى خطاب آخر، وكالانتقال من الماضي إلى الأمر، ومن المستقبل إلى الأمر، ومن الماضي إلى المستقبل إلى غير ذلك[1]، بل إنّ بعض الدارسين المحـــدثين قد عدّ بعض الأساليب الأدبية البلاغية كالتجريد وحسن التخلص وحـــسن التعليل والاستدراك والاعتراض ألواناً من أسلوب الالتفات في العربية[2]. ولو رحت استقصيها لطال المقام، واتسع الكلام، فأكتفي بالإشـــارة عـــن العبارة، وبالإحالة عن الإطالة، ومن الله تعالى أستلهم التوفيق .

---

(١) ينظر- مثلاً -: البرهان في علوم القرآن ٣/٣٣٣-٣٣٧ ط المعرفة .

(٢) ينظر: أسلوب الالتفات في مباحث البلاغيين – مجلة آداب المستنصرية ، العدد التاسع ، ١٩٨٤م ، وفن الالتفات في البلاغة العربية ص ١٦٦-٢٢٣ .

المصـــادر والمراجـــع

١. القرآن الكريم .
٢. أسلوب الالتفات في مباحث البلاغيين ، د. جليل فالح ، مجلة آداب المستنصرية – بغداد ، العدد التاسع ، ١٩٨٤م .
٣. البرهان في علوم القرآن : الزركشي ،بدر الدين،أبو عبد الله ،محمد بن بهادر (ت٧٩٤هـ) تحـ محمد أبـو الفـضل إبـراهيم ، ط٢ ، دار المعرفة – بيروت ، بدون تاريخ .
٤. البرهان في علوم القرآن : الزركشي ، تحـ مصطفى عبد القـادر عطا،ط١،دار الكتب العلمية–بيروت١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٥. الجامع لأحكام القرآن (تفـسير القرطبـي): القرطبـي ،أبوعبـد الله،محمد بن أحمد(ت٦٧١هـ)، ط دار إحياء التـراث العربـي – بيروت ، بدون تاريخ .
٦. صحيح البخاري (ت٢٥٦هـ)، بتقديم الشيخ أحمد محمد شاكر ، ط دار الجيل – بيروت ، بدون تاريخ .
٧. غاية النهاية في طبقات القراء : ابن الجزري ،أبو الخير، محمد بن محمد(ت٨٣٣هـ)، تحـ براجستراسر ، القاهرة ، ١٩٣٢م .
٨. فن الالتفات في البلاغة العربية : أُطروحة ماجستير ، قاسم فتحـي سليمان ، كلية الآداب – جامعة الموصل ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م . مطبوعة على الآلة الكاتبة .

٩. القاموس المحيط : الفيروز أبادي ،مجد الدين،أبو الطاهر،محمد بن يعقوب(ت٨١٧هـ) مطبعة السعادة – مصر .
١٠. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل :الزمخشري ،أبو القاسم،محمود بن عمر(ت٥٣٨هـ) ط دار الكتاب العربي ، بيروت – بدون تاريخ .
١١. لسان العرب : ابن منظور المصري،جمال الدين، أبو الفضل محمد بن مكرم(ت٧١١هـ) بيروت ١٩٦٨م .
١٢. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ابن الأثير الجزري ،ضياء الدين،أبو الفتح ،نصر الله بن محمد(ت٦٣٧هـ) تحـ أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، ط مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، ط٢، بدون تاريخ .
١٣. مختار الصحاح : الرازي،أبوبكر محمد بن أبي بكر(ت٦٦٦هـ) ط دار الكتاب العربي – بيروت ، ١٤١٠هـ =١٩٨١م.
١٤. معاني القرآن : الفراء ،أبو زكريا،يحيى بن زياد(ت٢٠٧هـ) تحـ محمد علي النجار ، ط الدار المصرية للتأليف والترجمة ، بدون تاريخ .
١٥. معترك الأقران في إعجاز القرآن : السيوطي ، جلال الدين ،أبو الفضل ،عبد الرحمن بن أبي بكر(ت٩١١هـ) تحـ أحمد شمس الدين ، ط١،دار الكتب العلمية–بيروت١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
١٦. ميزان الاعتدال في نقد الرجال : الذهبي،شمس الدين،أبو عبدالله،محمد بن أحمد(ت٧٤٨هـ) تحـ البجاوي ، ط البابي الحلبي – مصر ، بدون تاريخ .
١٧. وفيات الأعيان : ابن خلكان (ت٦٨١هـ)، تحـ د. إحسان عباس ، ط دار الثقافة – بيروت ، بدون تاريخ .

o o o o